الحَدِيثُ السَّابِعُ والثَّلاثُونَ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» [رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ](١).

قَوْلُهُ: «عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ»، هَذَا مَا يُسَمَّى بِالحَدِيثِ القُدُسِيِّ، وَهُوَ: الذِي يَرْوِيهِ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ»، أَيْ: كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ، وَكَتَبَهَا أَيْضًا عَلَى المَوْلُودِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، كَمَا فِي الحَدِيثِ الذِي رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه(٢)، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْهُ نَبِيُّهُ ﷺ، فَالأَعْمَالُ عَلَى قِسْمَيْنِ:

* أَعْمَالِ قُلُوبٍ، وَهِيَ النِّيَّاتُ وَالمَقَاصِدُ.
* وَأَعْمَالِ جَوَارِحَ، وَهِيَ الأَفْعَالُ الظَّاهِرَةُ.

قَوْلُهُ: «فَمَنْ هَمَّ» أَيْ: عَزَمَ وَنَوَى، «بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا» لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ عَمَلِهَا، أَوِ انْشَغَلَ عَنْهَا وَلَمْ يَتْرُكْهَا زُهْدًا بِهَا، وَإِنَّمَا تَرَكَهَا لِصَارِفٍ صَرَفَهُ،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١)

(٢) سبق تخريجه (ص٩٤).

وَنِيَّتُهُ الصَّالِحَةُ بَاقِيَةٌ «كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً» فَهَذِهِ يَكْتُبُهَا اللهُ لَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً؛ لِأَنَّ هَذَا عَمَلٌ قَلْبِيٌّ وَمُسْتَمِرٌ وَلَمْ يَتَرَاجَعْ عَنْهُ.

قَالَ: «وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ» وَاللهُ سُبْحَانَهُ يُضَاعِفُ الحَسَنَاتِ فَضْلاً مِنْهُ وَإِحْسَانًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وَقَالَ فِي الآيَةِ الأُخْرَى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وَلَمْ يُحَدِّدْ هَذِهِ الأَضْعَافَ فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ، وَفِي الآيَةِ الأُخْرَى قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ﴾ [البقرة: ٢٦١]، يُضَاعِفُ إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ، وَهَذَا ـ وَاللهُ أَعْلَمُ ـ بِحَسَبِ نِيَّةِ العَامِلِ وَقُوَّةِ إِيمَانِهِ، أَوْ بِحَسَبِ المَكَانِ وَالزَّمَانِ، أَوْ الحَالَةِ التِي تُؤَدَّى فِيهَا الحَسَنَةُ، فَيُضَاعِفُ اللهُ لَهُ أَضْعَافًا مُحَدَّدَةً، وَأَضْعَافًا غَيْرَ مُحَدَّدَةٍ، فَضْلًا مِنْهُ وَإِحْسَانًا، هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْحَسَنَاتِ فِي القَلْبِ أَوْ فِي العَمَلِ.

ثُمَّ قَالَ: «وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً» يَعْنِي: نَوَى أَنْ يُذْنِبَ ذَنْبًا لَكِنَّهُ تَرَكَهُ وَلَمْ يَعْمَلْهُ خَوْفًا مِنَ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ اللهَ يَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً وَاحِدَةً عَلَى نِيَّتِهِ؛ لِأَنَّ النِّيَّةَ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ، وَتَرْكُهُ لَهَا خَوْفًا مِنَ اللَّـهِ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ أَيْضًا، فَيَكْتُبُهَا اللهُ لَهُ حَسَنَةً؛ لِأَنَّهُ تَرَكَهَا خَوْفًا مِنَ اللَّـهِ، أَمَّا إِذَا تَرَكَهَا لِأَنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْهَا وَنِيَّتُهُ لِفِعْلِهَا بَاقِيَةٌ فَإِنَّهَا تُكْتَبُ عَلَيْهِ سَيِّئَةً؛ لِأَنَّ نِيَّتَهُ السَّيِّئَةَ بَاقِيَةٌ.

ثُمَّ قَالَ: «وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» فَالسَّيِّئَاتِ لَا تُضَاعَفُ؛ لِأَنَّ الجَزَاءَ عَلَيْهَا مِنْ بَابِ العَدْلِ، وَاللهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا، وَلَا يَكْتُبُ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَعْمَلْهُ، فَيَكْتُبُ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، وَأَمَّا مُضَاعَفَةُ الحَسَنَةِ فَهُوَ فَضْلٌ مِنَ اللَّـهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَهَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ وَبُشْرَى للمُسْلِمِ، وَحَثٌّ لَهُ عَلَى أَنْ يَنْوِيَ الخَيْرَ وَيَعْمَلَهُ، وَأَنْ يَتْرُكَ الشَّرَ، وَفِيهِ تحْذِيرٌ مِنْ نِيَّةِ الشَّرِّ وَمِنْ نِيَّةِ السُّوءِ فَإِنَّهَا تُهْلِكُ صَاحِبَهَا، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّـهِ، هَذَا شَأْنُ القَاتِلِ فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**»(١) يَعْنِي: مَاتَ وَهُوَ لَمْ يَعْدِلْ عَنْ قَتْلِ صَاحِبِهِ، فَهُوَ يُرِيدُ قَتْلَهُ لَكِنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْهُ، فَنِيَّتُهُ السَّيِّئَةُ بَاقِيَةٌ؛ فَلِذَلِكَ اسْتَحَقَّ دُخُولَ النَّارِ ـ وَالعِيَاذُ بِاللَّـهِ ـ مَعَ أَنَّهُ مَقْتُولٌ، جَزَاءً عَلَى نِيَّتِهِ السَّيِّئَةِ.

فَعَلَى المُسْلِمِ أَنْ يُحْسِنَ نِيَّتَهُ وَيُخْلِصَهَا لِلَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ يَتْرُكَ فِعْلَ السَّيِّئَاتِ وَالهَمَّ بِهَا وَيَعْدِلَ عَنْهَا، وَلَا يُطَاوِعَ نَفْسَهُ الأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ، وَلَا يُطَاوِعَ الشَّيْطَانَ، فَيَتْرُكَ فِعْلَ السَّيِّئَاتِ خَوْفًا مِنَ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.